جميلة العلايلي

تقدم

كلام الله

بقلم : جميلة العلايلى

◎ إلى من سلمهم الله مقاليد أمور الدنيا .

◎ إلى من وهبهم الله منحة الاشراف على تعاليم دينه .

◎ إلى من عرف الدين عقيدة وإيماناً وحباً وسلاماً.

◎ إلى من أتيح له فرصة خدمة الإنسانية على ضوء تعاليم السماء .

◎ إلى بناة مقومات الإصلاح فى أشرف مقاصده وأنبل غاياته واسمى اهدافه فى كل وطن .

◎ إلى من يبذلون من أموالهم قسطا فى سبيل الله للخير العام ومن يستغلون هذه الأموال لتقويم الأجيال الصاعدة .

أليهم جميعا أقدم — كلام الله — فى قصة

يقف القطار على محطة السكة الحديد فينزل منه أسرة قادمة من غزة يبدو عليها أنها مهاجرة وبعد أن يتقدم إليها الحمال ليعاونها يخبره رب الأسرة أنه يريد مقابلة رئيس مكتب الاستعلامات فيذهب بهم إليه ويدلى للرئيس بالمعلومات التى تثبت انهم أسرة هاجرت إلى إسرائيل تحت تأثير الدعاية الصهيونية فى البلاد النائية ثم وجدوا الحياة فى إسرائيل لاتطاق فهربوا بمعاونة أحد الأعراب إلى القاهرة للاقامة فيها. ويتصل الرئيس بالمسئولين وتصدر الأوامر بتحويلهم إلى مكتب الخدمة بالهلال الأحمر لرعايتهم والاشراف عليهم مع اتخاذ الاجراءات لمراقبتهم .

وتتولى جمعية الهلال الأحمر إعداد مسكن لهم وإلحاق أبنائهم فى مدارس مختلفة حسب أعمارهم وتبدى ابنتهم .. نسمة — نبوغاً فى جميع مراحل التعليم وكذلك الولد الكبير موسى.. تستيقظ نسمة على صوت جميل يتلو القرآن الكريم فى مذياع الجيران قوله تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا

فى الميزان) ودون وعى تتسلل خفية وتقترب من النافذة لتستمع وقد بدا عليها خشوع المأخوذين .. وعلى أثر انتهاء القرآن تتحرك لتترك النافذة ولكنها تسمع حديثاً دينياً فتعاود الاصغاء .. ويمر الوقت وهى واقفة كالمسحورة حتى تتنبه على صوت أخيها الصغير ـ يوسف يدعوها لتناول الافطار فتطلب منه جريدة الصباح وبعد أن يأتى بها تطالع برنامج الاذاعة ويلحظ ذلك شقيقها ـ فيسألها وهى تلقى الصحيفة دون أن تطالع أى شىء آخر عن سر اهتمامها ببرنامج الإذاعة فتحاول الهروب من الجواب وحيال تفسيره اهتمامها بالرغبة فى سماع الأغانى والتمثيليات ، تقنعه بأنها تريد معرفة مواعيد مناهج الأدب والثقافة : وعلى مائدة الفطور تبدى رغبتها لوالدها العجوز فى اقتناء ـ مذياع ـ فيصارحها بأن حالتهم المادية لا تسمح مؤثراً شراء ملابس الأولاد ودفع مصاريف المدارس راجياً أن تحين الفرصة لشراء المذياع وما يشابهه من الكماليات

ويضم شقيقها الكبير رجاءه إلى رجاء أخته محاولا أن يغرى الوالد على شرائه ليسمع منه كلمات زعيم الثورة .. وتؤثر الأم عدم الشراء لكيلا يعطل الصغار عن المذاكرة ولكن نسمة تؤكد أنه يزيدهم رغبة فى التعليم إذ يساعد على اتساع أفق تفكيرهم ويجولون معه أنحاء العالم ويعد موسى بشرائه عندما يتسلم أول مرتب من عمله .. ثم ينفض المجلس وتخرج نسمه إلى كليتها وشقيقها إلى جهة الاختصاص بوزارة التربية والتعليم ليطمئن على تعيينه .

وتسير نسمه فى طريقها دون أن تولى جلال ابن الأسرة المسلمة التى تقطن بجوارهم أى اهتمام كما أنه لا يشعرها باهتمامه .. ثم تدخل إلى كليتها ويتابع خطاه إلى كلية الهندسة ..

وفى المساء تحرص على سماع تلاوة القرآن الكريم من مذياع أسرة جلال المجاورة . . ويلاحظ ـ جلال . . أنها تستمع فى اهتمام . . فيرفع صوت المذياع ويقف أمام النافذة يرقبها فى إعجاب . . . تدخل أمها لتناولها كوب الشاى كى يساعدها على المذاكرة كما تعتقد فتجدها على هذه الصورة فتغضب وتأخذ عليها

تُرك المذاكرة وتسب الشاب وتلعنه وفى عنف تقفل النافذة وتأمر ابنتها بعدم فتحها مطلقاً ويترامى إلى مسامع الوالد نقاش الأم وابنتها فيسألهما عما حدث وبعد أن تصارحه بأن ابن الجيران قليل الأدب وقح ، يأخذ عليها تهورها ويدافع عن جلال مؤكداً لها أنه لم يلحظ عليه أى انحراف منذ سكنوا بجواره ولم يسمع عنه من أهل الشارع إلا كل ثناء وإعجاب منوها عما نشرته الصحف عن نبوغه وتفوقه وتُرشيحه لبعثة خارجية .. وهنا تقاطعه نسمه بأن والدتها تسيء الظن بها ثم تبكى فى حرقه . . فيدافع الأب عن ابنته مشيراً إلى الأم بعد أن تبتعد عنهما نسمه ـ بأنه ليس هناك ما يخيف لأن ابنته يهودية وجلال مسلم .. ثم يأخذ عليها تغاضيها عن سوء سلوك ابنها موسى مع أنه أحق من غيره بالنقد والتوجيه ولكنها تدافع عن ابنها وتباهى بأن البنات هى التى تجرى وراءه وتفتتن به .

وفى صباح اليوم التالى . . تكلف الأم ابنها الصغير إيقاظ أخته من النوم ولم يكد ـ يفتح الباب حتى ترى الأم من الصالة ابنتها واقفة أمام النافذة فتسرع إليها محتده وتدنو من النافذة لتغلقها فى عنف وهى تسب ـ جلال . . ولكن يوسف الصغير يتدخل ويخبر أمه بأن أخته تسمع المقرىء لأن صوته جميل وترتدى نسمة ملابسها مسرعة وتغادر الدار دون تناول الطعام وهى غضبى وتطل الأم من النافذة لتناديها فترى جلال يسير وراءها وتحدث مشادة بين الوالد والأم للمرة الثانية تنتهى بذهاب الأم رغم أنف الوالد إلى جارة لهم لكى تنقل عن لسانها انذاراً لجلال إن لم يرتدع عن مغازلة ابنتها من النافذة والسير وراءها فى الطريق . وتظهر الجارة استعدادها للقيام بهذه المهمة وعلى أثر انصراف أم موسى تتهيأ الجارة لزيارة أم جلال ، ولكن زوجها يردعها ويعيب على أم موسى ويشير إلى أنها ما دامت تخشى على ابنتها فخير لها أن تحجزها فى المنزل إذ ليس من حقها أن

تمنع الجيران من فتح النوافذ أو تمنع الشاب من المشى فى الشارع . . وتقضى أم موسى اليوم صاخبة غاضبة تلعن وتسب وتهمل أعمال البيت وهى تنتقل من بيت إلى بيت فى الشارع لتتحدث عن سوء خلق جلال متهمة إياه بمغازلة ابنتها وقطع الطريق عليها .. وتزداد غيظاً وحنقا كلما سمعت ثناء أو دفاعا من الجيران متمنية كل أم أن تزوجه ابنتها ولم تكد تعود إلى بيتها فى الظهر لتعد الطعام حتى يعود الصغار من المدرسة وفى مقدمتهم يوسف ـ يطلبون الطعام فتعتذر لانحراف ألم بها وهى تلعن جهرا وسرا السبب فى انحرافها .. وهنا يترامى إليهم صوت مشادة فيهرع يوسف إلى الشارع ثم يعود إليها ليخبرها أن مشادة قامت بين جلال وشاب غير معروف كان يعاكس أخته وقد ضربه جلال وشجعه الجيران على ذلك . ويبدى يوسف إعجابه الشديد بشجاعة جلال وشهامته . وينقل إليها مادار من تعليقات الجيران وسخطهم على الشاب الذى عاكس نسمة مع أنه يهودى وغيرة الشاب الذى دافع عنها مع أنه مسلم وتبدى الأم عدم ارتياحها لما تسمعه من أبنها وهى تهرول إلى مكان المشادة لتتأكد من صحة ما نقله إليها ابنها ولم تكد ترى نسمه مقبلة عليها . حتى تلعنها وتعود بها إلى المنزل صاخبة مهددة بمنعها من الكلية وتدافع نسمة عن نفسها بأنها لا شأن لها ملقية التبعة على شاب متسكع يبدو أنه فشل فى دراسته فراح يقضى نهاره فى معاكسة الفتيات وليله فى سرقة المحلات كما يشاع عنه ثم تلفت نسمة نظر أمها إلى زيارة أم جلال لتشكره عما صنع من أجل حمايتها فتأبى الأم ملقية التبعة عليه إذ لابد أنه كان يتبعها وقد شجع ذلك الشاب الآخر وتنصحها الابتعاد عنه منعا من تشنيع أهل الشارع ولكيلا تكون مضغة فى الأفواه مثل ابنة أم حمدى التى كانت تقطن فى الشارع وقد انتقلت الى منطقة أخرى بسبب الأشاعات. وهنا تدافع نسمة عن هذه الفتاة وتؤكد لأمها أن السبب فى انتقال الأسرة إحالة

والدها إلى المعاش وانتقالهم إلى بيت جدهم توفيراً لإيجار البيت ولكن الأم تعود إلى اتهامها ويضطر الوالد الى التدخل متهما ابنها ان كان لهذه الإشاعات نصيب من الصحة بأنه السبب وهو الذى جنى عليها وتسبب فى رفتها من المدرسة ثم نصحها بالكف عن سب الغير وذكر لها آية من التوراة تنص على ذلك وقبيل المغرب تأمر نسمة أخواتها بعدم الدخول عليها اذ وراءها مذاكرة كثيرة وتغلق الغرفة عليها وفى المساء تفتح النافذة لتسمع القرآن .. وتكلف الأم يوسف بأن يدخل الشاى اليها وتلمح أخته الصغيرة نسمة تنظر من النافذة فتخبر الأم وسرعان ما تهرول اليها ولكن نسمة تسرع لاغلاق النافذة ولم تكد الأم تغادر الغرفة حتى تفتحها لتستأنف سماع القرآن .. وكلما سمعت حركة تغلق النافذة ثم تستأنف السماع .. وهكذا تقضى الوقت فى فزع ولهفة .. وفى صباح اليوم التالى بعد أن تستمع القرآن ترتدى ملابسها مسرعة وقبل أن تغادر البيت تأمرها أمها بتغيير طريقها فى الذهاب والإياب . . وعلى أثر خروجها تنظف الأم غرفتها وعندما ترتب الكتب تجد بينها كتاباضخما . يقع منها على الأرض وتتمزق بعض أوراقه .. وخوفا من غضب نسمة تنادى على موسى لتريه الكتاب وتكلفه بوضع الأوراق مكانها ويحملق موسى فى الكتاب ويغمغم . . ده مصحف . وتدهش الأم وتسأله ما هو المصحف فيخبرها أنه القرآن الكريم كتاب المسلمين . . وتصعق الأم ثم تحاول تمزيقه فى غيظ ولكن موسى يرفض ويحفظه فى صيوانه الخاص ريثما تعود أخته من الكلية ولم تكد أمه تنصرف الى شئون البيت حتى يخلو بالمصحف ليقرأه فيجد عليه اسم زينب .. ويجدها فرصة لتحقيق أمل طالما ترقبه وسرعان ما يحمل المصحف قاصداً بيت زينب ولكنه لا يجدها فيترك لها رسالة باسم أخته لتذهب إليها فى المنزل .. وتعود نسمة إلى البيت وعلى البعد يتبعها جلال .. وعلى أثر خلع ملابسها

تخلو بنفسها باحثة عن المصحف ولشد ما يهولها عدم وجوده فى الغرفة كلها ولما تسأل أمها فتجيبها بأنه مع شقيقها وتلزم نسمة الصمت ريثما يعود الأخ ويطرق الباب فتفتحه الأم لتستقبل زوجها العجوز وبعد أن تجلس تسأله عما تم : فيخبرها أنه بعد أن يئس التقى بصديقه الشيخ محمد أبو المجد وبعد أن أفضى إليه بأزمته هدأ من روعه وطمأنه واتفق معه على أن يقابله فى الغد ليرشده إلى طريق القرض من وزارة الأوقاف .. وتشك الأم فى صحة هذا الزعم بدعوى أن القرض خصص للمسلمين ولكن زوجها يؤكد لها بناءا على ما فهمه من صديقه الشيخ محمد بأن لا فرق بين المواطنين على اختلاف أديانهم أمام القانون وراح يقص عليها أنه وجد من مساعدات المسلمين له مالم يجده من إخوانه اليهود وتهز الأم رأسها فى شك مما يقول ثم تتركه لتفتح الباب للطارق ويدخل ابنها ويتبعه إخوانه الصغار وتسرع الأم لأعداد الغداء وعلى المائدة يروى موسى فى ابتهاج وتفاؤل موجز الأخبار السياسية والإجتماعية مهتما بالتعليق على ترقية جارهم اسكندر ميخائيل إلى منصب كبير ويفرح الأب وتغضب الأم راجية لابنها هذا المنصب قريباً .. ويعلق الوالد على التطور الحديث وكيف أتحت الفوارق الطائفية بعد أن كانت المناصب الرئيسية لا تسند لغير المسلمين محبذا فكرة اسناد رئاسة العمل إلى النابغين العاملين دون النظر إلى الدين .. فكم من مسيحيين يفوقون بإنسانيتهم ومواهبهم بعض المسلمين ويقينا أن كل مواطن لم يكن يعرف العصبية من قبل حتى نفث المستعمر سمومه فى المواطنين، ثم يعلن سخطه لسوء تصرف اسرائيل ناقماً على القدر الذى وضعهم فى طريق اليهودى والذى علمهم أنه لا يوجد فى الدنيا غير هذا الدين فتأثروا به . وتعلق نسمه بأن كل شىء يمكن إصلاحه والتأمل مع الدراسة والاعتماد على الاحساس الخالص كفيل بأن يهدى الانسان دون تلقين كما أنه يجب عدم إيقاف

الفكر عند حيز محدود من التفكير فلا يستطيع الانطلاق الى أبعد الآفاق ليرى الله على حقيقته والأديان على حقيقتها وهنا تقاطعها الأم - غير راضية عن هذا المنطق الذى اكتسبته ابنةاليوم من المدرسة. فتدافع نسمه عن البنت كواطن يجب أن يؤمن بالله الواحد الأحد كما يؤمن بالرسل جميعاً كقادة جاء كل منهم ليتمم رسالة الآخر .. رسالة الحب والخير والسلام وهنا يؤكد موسى صحة نظرية أخته ويعقب الوالد .. لا عيب فى أبناء اليوم غير الصراحة والانطلاق ثم ينوه عن ضرورة احتفاظ بعض الآراء . فى الصدر حبيسة لكيلا يتعرض صاحبها لضرر ما .: وتغادر نسمة المائدة وهى توافق على احتباس الخواطر . لا خوفا من الضرر ولكن إلى حين تنضج . . المهم أن تكون هذه الخواطر سليمة ولما تدخل نسمة غرفتها يخلو بها موسى ليسألها عن سر وجود المصحف فى غرفتها فتصارحه بأنها جد معجبة بلغته وبلاغته وفصاحته .. وهو فى مجموعه مجمع أديان فى دين واحد. هو معجزةحقا لايمكن أن يرتفع إلى مستواه أى مخلوق مهما أوتى من الفصاحة والبيان والبلاغة . . وتتندى عيناها بالدموع وهى تستطرد مصورة مدى تأثرها به وأنها لم تتأثر قط بتعاليم الدين اليهودى منذ نشأت وتحمد الله الذى جاء بها من أرض البهتان إلى أرض الأيمان سعيدة بمعرفة الله بقلبها وروحها تعيش كما رسم لها ايمانها خليـــة الذهن من المساوىء بعيدة بمشاعرها عن الأضاليل ثم تأخذها حماسة التصوف دون أن تتعلم فلسفة التصوف ناقدة أبناء الأديان لاعتناق أديانهم وهم لا يعرفون الكثير ولا القليل من معـــانى هذه الأديان . . وتضرب مثلا بهم فقد كانوا يعيشون فى أرض لا يعرفون كيف نشأوا فيها . . ويتكلمون بلهجة تعبر عما يريدون دون أن يتعلموها وينـامون ويتزوجون ويأكلون كل ما نبت على الأرض أو يمشى عليهـــا . .

دون أن يتطاول أحدهم على الآخر لأنهم لا يعرفون غير اليوم الذى يعيشون فيه الله فى قلوبهم يشعرون به ويخافونه ولكنهم لا يتطاولون إلى التفكير فيه لأنهم يشعرون أنهم مخلوقات ضئيلة . جاءت وسوف تمحى من هذا الوجود بعد حين، كما يموت غيرهم أمامهم وتصمت عندما تسمع طرقا على الباب ويهرول موسى ليفتحه فيواجه زينب . وقبل أن تتكلم يرحب بها ويشعرها أن نسمة كانت تترقب مجيئها وبعد أن تستقبلها نسمة مرحبة بها يتدخل موسى بحديث يحاول خلاله أن يشعرها بأنه معجب بها وعندما تخرج نسمة لتحضر لها شراباً . . يهمس بصوت خفيض ببعض كلمات خاطفة ليفهمها أنه ذهب إليها دون علم أخته وتبدى زينب تبرمها وتتجنب نظراته متجاهلة مقصدة .. وعندما تعود نسمة .. تبدى زينب رغبتها فى الانصراف على أمل أن تحضر نسمة لزيارتها كما اتفقا قبيل المغرب وتخرج مسرعة ولم تكد تبلغ منتصف الطريق حتى يلحق بها موسى فى اللحظة التى تستوقف فيها ـ جلال ـ الذى كان يسير على عجل كأنه على موعد وتسأله عن كتاب سبق أن اشتراه من المكتبة أمامها منذ عام وهى فى حاجة اليه الآن وسوف ترده بعد أن تطلع عليه . ويعدها جلال بإرسال الكتاب إليها أو ترسل من يأخذه بعد ساعة .. وقبل أن يفترقا يظهر أمامهما موسى فيحيى جلال فى فتور ويخاطب زينب دون كلفة ليشعر جلال أنها صديقته ويقدم اليها منديلها الذى سقط منها وينسحب جلال فى هدوء بينما تبدى اشمئزازها من تصرف موسى وتأخذ منه المنديل دون كلام وتستمر فى المسير دون أن تأبه له ولم تمض ساعة حتى يذهب الى جلال ليطلب منه الكتاب وبعد أن يتسلمه يسرع الى زينب ليقدمه اليها كأنه جاء به اليها ثم يلفت نظرها الى تجنب جلال لكيلا تتعرض سمعتها الى ما يذاع عن سوء سلوكه .. وتبحث فى الكتاب عن البحث المطلوب فلا تجده فتضطر أن ترسله اليه مع شقيقتها

الصغرى وعندما تذهب أختها لمنزله لا تجده فتسلم الكتاب إلى أخته نسمة ولم تكد نسمة تمر على صفحات الكتاب حتى تجد اسم جلال . . وتطل من النافذة لتنادى البنت كى تسألها عن زينب فتجد موسى يحادث الفتاة على مقربة من الباب وعندما يعود الى أخته يأخذ منها الكتاب. بدعوى أن ـ جلال ـ أرسل لزينب لأنه معجب بها وقد كلفته برده إليه ثم يحمل الكتاب الى جلال الذى يرحب به ويفتح له صدره محتما عليه تناول شرابا . . وفى خلال حديثهما يشعره بأنه يحبه جداً ويدعوه لقضاء سهرة ممتعة معه وبعد الحاح شديد يقبل جلال على أن يشاهدا أحد الأفلام معاً ويوافق موسى ويدعو صديقة له وأثناء عودتهم يتعمد أن يمر على بيت زينب ليسأل عن أختهٔ نسمة وتطل زينب من الشرفة لتنفى وجودها ويحز فى نفسها أن ترى ـ جلال ـ المؤدب الكامل كما تعتقد يصاحب إحدى الغانيات . . وكان أول خبر نقلته لنسمة عندما التقيا فى اليوم التالى هذا النبأ . . ولم تعلق نسمة بغير ابتسامة مرة إذ لم تستطع أن تصدق ذلك وظنت أن زينب تريد أن تبعدها عن طريقه بهذه الوشايه ولكنها أخفت احساسها وسرعان ما تبدد دخان هذا الخاطر حينما تنبهت إلى أن زينب مسلمة وهو مسلم ولا ضير إذا تحابا . ولا غرابة إذا غارت عليه واحتاطت لتحتفظ به . . وتحت تأثير هذا الشعور تناست هذه الرواية وعاد إليها صفاء قلبها

ومرت بعض الأيام . وموسى ينتهز الفرصة من حين إلى حين كلما وجد سبيلا لمقابلة زينب فى الطريق متعجلا أخته عندما تكون فى زيارتها ليغريها على التعلق به . . وفى يوم ما حضرت زينب إلى نسمة لتدعو أسرتها لحضور حفل عيد ميلادها ولم يكد موسى يعلم بذلك حتى يرجوها أن تأذن له بتقديم أوركستر من أصدقائه الفنانين لإحياء الحفلة . . ولكنها ترفض لأن والدها يكتفى باحياء

حفل دينى وتحاول أم موسى أن تقنع أولادها بعدم الذهاب الى الحفل ما دام حفلاً دينيا خاصاً بالمسلمين ولـكن نسمة تعارض أمها ويشجعها موسى وينضم اليهما الصغير يوسف ويقف بجانبهم الوالد العجوز بدعوى أن مجاملة الجيران واجبة وأن اختلفت الأديان .. وفى الميعاد المحدد تنبه نسمة أفراد أسرتها للذهب إلى الحفل . وتنصح الأم أولادها بالبقاء للمذاكرة وبعد حوار ونقاش تخضع الأم على مضض وتصحب أولادها ، ويبدأ الحفل بتلاوة القرآن الـكريم ثم بذكرى المولد النبوى .. ثم موشحات مع الموسيقى وتؤخذ نسمة بسحر هذا الجو الدينى الرائع فتنس أنها يهودية وتذكر مع الذاكـرين وتسبح مع المسبحين وتردد الموشحات مع المرددين ..

وينضم موسى لا حباً فى الدين مثل أخته . . ولـكن لترضية زينب وتلحظ نسمه عليه ذلك فتأخذ عليه هذا العبث وتعتب عليه وتحثه على احترام دين غيره .. وقبل أن ينتهى الحفل تعتذر أم موسى لأم زينب بدعوى أنها تاركة بالمنزل قريبة مريضة فى ضيافتها وتحاول أن تحمل أولادها على مرافقتها فيطيع الصغار عدا يوسف الذى يتشبث بأخته ويصارح أمه بأن ما سمعه من تلاوة وذكر أحب إليه مما يسمعه من وعظ رجال دينه . وتلطمه الأم حانقة مهـددة إياه بالضرب لجرأته ووقاحته وتتدخل نسمه لتخفف من غضب أمها فتفسر قول يوسف تفسيراً ساذجاً وتنسحب الأم فى غيظ ولم يبق من المدعوين غير أصدقاء زينب المقربين وجلال الذى حضر مع والده صديق الشيخ المقرىء والد زينب والذى استبقاهما الشيخ بعد إلحاح لينفرد بهما كى يسمر معهما ويستعيد مع والد جلال ذكرى صباهما الحالم وأيام تلقى العلم فى الأزهر الشريف مقارناً بين الأزهر من زمن بعيد حيث تلتف الطلبة حول شيخهم يجلسون على الحصير زادهم العلم ومنتهى أملهم أن يـكونوا من العلمـاء

البارزين . . أما اليوم فالأزهر جامعة كأرقى الجامعات والطلبة يتلقون جميع العلوم بجانب مناهج الدين . . ثم يبدى أسفه لأن ذريته كلهـــا من البنات وكان يتمنى أن ينجب ولداً ليكون أخاً لهن متخصصاً فى منهج الأزهر الحديث ويعترض والد جلال و يؤكد له أن الخير فيما أراده الله وأن الخلف الصالح فى البنين والبنات على السواء . . وهنا يؤكد والد زينب صحة ذلك . . ويدعو ابنته زينب لتسمعهما صوتها بتلاوة بعض آيات القرآن وتستحى زينب فتعتذر ولـكن والدها يلح فتستجيب . . .

ولما تنتهى يطلب منها والد جلال بعض الموشحات وبعد إلحاح ورجاء .. تغنى ويظهر إعجابه الشديد وهو يثنى على صوتها الملائكى ثم ينصح والدها باستغلال هذا الصوت فى إحياء شعائر الدين وبذلك تحارب الأغانى الرخيصة وتكتسح اللغة الهزيلة كما تساعد على تقوية الروحانية بما تسكبه فى النفس عن طريق الألحان والنغم المشبع بمعانى موسيقى الذكر الحكيم وإشباع الذهن بخلاصة ذكرى أصفياء الله المقربين . . ويعترض الشيخ المقرىء بدعوى أن صوت المرأة حرمة ولـكن صاحبه يقنعه بأنه فى المقدور أن يستغل الصوت الجميل بوسيطة سحر القرآن ليسمو بالنفس البشرية إلى أعلى مراتب الكمال وتبعده عن مغريات الدنس . ويتأثر الشيخ بوجهة نظر صاحبه ويترك الأمر لله يفعل ما يشاء ..

وتخلو نسمة بزينب قبل أن تغادرها راجية منها أن تساعدها على تعلم القرآن الكريم لأنها شديدة الشغف به ولا يسع زينب غير الترحيب متطوعة ولكى تشجعهـــا على المضى فى تحقيق هذه الرغبة الجليلة تخبرها بقرار السيد وزير الأوقاف أحمد عبد الله طعيمه الخاص بإعفاء الطلبة الذين يحفظون القرآن من المصروفات وتبدى نسمه عدم اهتمامها بذلك مؤكدة لزينب أنها تحفظ

القرآن استجابة لرغبة قوية فى نفسها لا تعرف مبعثها أو مأتاها ولم تشأ زينب أن تخفى عنها ما يخامر ذهنها من اعتراض أهلها

ولكن نسمه لا تأبه لتخوف زينب وتقنعها بأنها ستتخذ الحيطة والحذر أولا حتى تهيء الفرصة التى تواجه بها أسرتها إذا كان لابد من المصارحة على أنها لا تهتم بذلك كثيراً لأنها تحفظ القرآن لتشبع هواية فى نفسها بدأت منذ سمعت تلاوة القرآن فى المذياع وراحت تنمو على مرور الأيام . . وهنا تصمت عند ما تسمع صوت يوسف يناديها ويبلغها أن تحضر حالا لأن مشادة قامت بين أمها وأبيها بسبب تأخرها فى الخارج ولم تكد تودع زينب صاحبتها وقبل أن تصعد الدرج يخرج موسى من وراء دهليز السلالم المظلم وتنزعج زينب لوقوفه أمامها محاولا أن يطوقها بذراعيه ولكنها تقاوم وتصفعه على خده وتصعد الدرج مسرعة لاهثة . . وترتمى فى فراشها مضطربة باكية مغمغمة . . ندل . . وقح . .

تبدأ نسمة فى حفظ القرآن الكريم مع زينب تحت إشراف والدها الشيخ المقرىء الذى تطوع مسروراً لتعليمها ولم تمر أيام حتى تظهر تفوقاً بارزاً أكثر من زينب وتلحظ أم موسى تردد ابنتها على زينب فتكلف يوسف بأن يتجسس على أخته ليخبرها عما تفعل هناك ولما يذهب لمباغتة أخته يسمع أخته تقرأ القرآن ويهم بالدخول عليها ولكن الخادم تحاول أن تصرفه بلباقة فى وضوح لتشعر نسمه بمقدمه لتحتاط . . وتنتهى نسمه وتخرج إليه زينب لتشعره أنها هى التى كانت تقرأ ولكنه يؤكد لها أن الصوت صوت أخته . . ويحدث بينهما حوار يحاول فيه كلاهما أن يقنع صاحبه حتى تخرج إليه نسمه فيستشهد بها وتأبى أن تكذب فتصارحه وتطلب منه أن يطالع التوراة بتمعن ويطالع القرآن ثم يحفظ ما يميل إليه فى قرارة نفسه فكلاهما كتاب الله . . ولكى تقنعه بوجهة نظرها تضرب له

مثلا أن القارىء يقرأ أحياناً وصفاً لقناة السويس باللغة العربية لكاتب ما . ثم يقرأ وصفاً آخر للقناة أيضاً لكاتب ثانى . فيعجب بمقال أحدهما دون الآخر مع أن المصدر لم يتغير إنما الأسلوب هو الذى يغرى القارىء على الاسترسال فى المطالعة أو الكف عنها .

هكذا الكتب السماوية . . موضوعها واحد وهو عبادة الله الواحد الديان وتصوير قدرته الخارقة على خلق هذا الكون العظيم . لكن لكل كتاب أنزل فى حينه أسلوبه الخاص ليلائم الشعب الذى نزل عليه . فلما تقدمت الأمم وقويت عناصرها وتهذبت اللغه وارتفع التفكير وسمت المشاعر أنزل الله القرآن بأسلوب يفوق كل أسلوب ويمحو بقايا الشك فى النفوس ويبعث الإيمان فى القلوب ومعجزة تفوق معجزات الفصاحة والبلاغة والبيان .

وهنا يظهر يوسف اقتناعه فيطلب منها أن تسمح له بحفظ القرآن على أن تكتم الأمر عن والدته لأنها تحتم عليه حفظ التوراة وهو لا يستصعبه ثم يهرول إلى أمه ليطمئنها على أخته مؤكداً لها أنه وجدها تنقل محاضرة من كراسة زينب .

يشغل موسى نفسه بحب زينب فيهرع إلى ملهى ليغالب غيظه متناسيا تخاذله مفكراً فيما يصنعه للتغلب عليها لتخضع له . . ويعود فى منتصف الليل مخموراً فيتسلل خفية إلى مخدعه دون أن يشعر بنسمة التى خرجت من غرفتها لتلومه على تأخره ولكنها تروع لمنظره المخمور فتتركه كأنها لم تره وتعود إلى غرفتها لتستأنف حفظ القرآن . .

وفى الصباح قبل أن تغادر نسمة المنزل ، تدخل على أخيها فتجدة نائما نوماً عميقاً فتترك له ورقة كتبت عليها إحضر مبكراً لألقاك . . وتنسى أن توقع إسمها وأثناء ارتدائه الملابس يلمح الورقة الملقاة على المنضدة فيطالعها . . ويدهش ممن

تكون ؟ ! . إن الخط يشبه خط أخته ولكنها لم تتعود أن تترك له ورقة مهما كانت الظروف ماسة للقائه .. ومرّ بخاطره .. أن زينب أسفت لما صدر منها . . وتريد أن تعتذر إليه . . وخرج وهو مشغول بهذا الخاطر . . وقضى شطراً من النهار ينتقل من مقهى إلى مقهى حتى حان موعد عودتها من الكلية فيعود إلى منزله لينتظرها ويمر اليوم دون أن تحضر كما لم تحضر أخته فيذهب إلى زينب ليسأل عن أخته فتلقاه فى فتور وترد عليه رداً جافا وتتركه فى مكانه دون أن تدعوه ليستريح قليلا وتخرج أخته إليه لتعود معه إلى المنزل ويخامره الشك ويوقن أن أخته وشت إليها لتبعدها عنه ولا يكاد يستقر فى المنزل حتى يسأل أخته عن مصدر الورقة فتناوره فى بادىء الأمر لتكشف خبايا صدره عل وراءه امرأة ما ولما يصارحها بأنه لا يعرف ولا يحب أن يعرف غير زينب وإذا تعرف إلى فتاة أخرى وكثيراً مايفعل مضطراً للتسلية ثم يرجوها أن تتوسط له وتربط بين قلبها وقلبه . . ولما تصمت نسمة للمفاجأة يفسر سكوتها بقبول رجائه فيتفاءل وقبل أن ينسرح خياله فى هذا الأمل تصارحه بأنها لا تستطيع أن تجنى على فتاة بريئة طاهرة فتربط بينها وبين شاب مستهتر ماجن لا يقيم للأخلاق والدين وزنا . . . ويدرك ان لها يداً فى تجنى زينب فينظر إليها شذراً ويكتم أنفاس غضبه ويصارحها بأنه يعرف سرّ تعلقها بزينب وهى أن تتخذ منها قنطرة تعبر عليها للوصول إلى جلال ... ولكن هيهات .. ان جلال مسلم متعصب يحب زينب .. وزينب لا تحبه . . لأنها معجبة به هو شخصياً ولكن خوفها من نسمة يمنعها من مصارحته . . لذا يأمل أن تطمئنها بأن ذلك لا يضايقها مطلقا ويتركها ظنا منه أن ذلك يوغر صدرها فتضطر أن تبعد زينب عن طريق جلال ولكن نسمة لم تتأثر بافترائه وازدادت سخطا عليه وهددته بمكاشفة زينب عن استهتاره وتلاعبه بالفتيات إن لم يرتدع عنها ؟...

ولما كان يعرف عن أخته إيثار الصدق والعزم والشجاعة فقد لجأ الى مغالطة نفسه وإيهامها بأنه سيتخلى عنها ما دامت هذه رغبتها واعتزم أن يخفى عنها كل شيء وأن يمنعها من زيارة زينب بواسطة أمها ...

فلما تذهب نسمة اليها بعد أيام يوعز الى أمه أن تفاجئها بنفسها لتعرف كيف تمضى الوقت معها وتفهم من تلميحات كلامه أن وراء زيارتها لزينب ما يريب. وتباغتها فى بيت زينب ولشد ما يهولها سماع صوت ابنتها تقرأ القرآن ولم تستطع كبح جماح غضبها فتنهال عليها سباً وتتهم أهل البيت بأنهم يغررون بها لاعتناق دينهم وتسحب ابنتها غاضبة وتقوم بينهما مشادة عنيفة تدفع نسمة لمصارحة أمها بأنها تحفظ حقاً القرآن لتستفيد ولكن الأم لا تقتنع بهذا المنطق السخيف فى نظرها ويقف الوالد بجانب ابنته مشجعاً اياها على دراسة القرآن لأنه عماد اللغة ودستور الأديان ويتمنى لو أتيحت له مثل هذه الفرصة فى صغره ويندم على عمر مضى وهو لا يعرف من أمور الدين غير ما وصل إليه بعد سن الشباب . . ويتهكم موسى ويتندر بمغالطة أبيه ترضية لابنته لأنه يحبها. وعندما يأخذ عليه والده تغير رأيه وأن ما يقوله اليوم يخالف ما قاله البارحة يدافع موسى عن تقلبه بأن من الخطأ أن يجزم الإنسان برأى ما .لأن التجارب هى التى تولد الآراء وأنه مع احترامه للدين الإسلامى لا يجد مبرراً مطلقاً يدعو أخته لممارسة تلاوة القرآن كأنه أصبح هوايتها المفضلة وهى لم تزل فى حاجة إلى وقت كثير لاستذكار دروسها وخصوصاً لم يبق على نهاية العام غير شهور قلائل . . ثم ينوه لأمه من طرف خفى لتمنعها من زيارة زينب لأنها هى التى تغريها على ذلك .

ويشجع ذلك الأم فتلعن بنات اليوم وتلفت نظر ابنتها إلى أن البنت لا يتلفها غير البنت ثم تأمرها فى صرامة بأن تمتنع نهائياً عن زيارة زينب وعندما يحاول الأب

أن يدافع عن ابنته تصده الأم فى عنف وتأخذ عليه تهاونه فى تربية ابنته . . ولم يكن فى وسع نسمة غير أن تخلو بنفسها فى غرفتها تبكى بكاء مراً فى حين يخرج موسى إلى الخارج معتقداً أنه أزاح الصخرة التى كانت تحول بينه وبين زينب وبدأ يشعر نحو أخته بكراهية شديدة واصبحت فى نظره كعدو لدود وكاد يتلاشى من صدره كل حب كان يشعر به نحوها .. وأصبحت فى نظره أبعد ما تكون عن الخاطر.. بل تمنى لو يقذف بها الى الجحيم ليستريح .

* * *

ولم تجد نسمة بدا من مصارحة زينب أثناء اجتماعهما فى الجامعة بما يدور بينها وبين أمها بسبب حفظ القرآن مما يضطرها إلى الاتفاق معها على أن يتقابلا فى الحديقة العامة لتواظب على اتمام حفظه بمعاونتها.

ويقف ـ جلال ـ كعادته على الرصيف مترقبا مجىء نسمة لتركب الأتوبيس كعادتها كل يوم ويطول به الوقوف ولم تحضر فيضطر أن يذهب إلى بيته ويقف فى نافذته ليرقبها من بعيد ويطول به الانتظار وهو قلق حتى يلمحها أخيراً فيطمئن وتقابلها أمها متهمة أياها بأنها تأثرت فعلا بأخلاق البنات الفاسدات وتحاول نسمة أن تدافع عن نفسها مؤكدة لها أنها تأخرت لسماع محاضرة فى ندوة أدبية مع جميع الطالبات ويحضر ـ موسى ـ ويعرف من أمه تأخر أخته وما دار بينهما . . ولكى يعرف حقيقة تأخر أخته يتصل بزميلة لها تليفونيا ويعلم أن أخته كذبت على أمها.. هنا يوقع بين أمه و بينها شاعراً بلذة وابتهاج لما تلقاه من تعذيب ونكد وتحتضن نسمة المصحف فى غرفتها وهى تبكى وتقبله فى حرارة كأنه حبيبها الوحيد ويدخل عليها ـ يوسف ـ ليهون عليها و يشاركها البكاء ويفرض عليها مغادرة البيت وهو مستعد للقيام بأى عمل فى أى مصنع أو متجر ليعولها وسوف

يذاكر ويواظب على دراسته من الخارج وتتأثر نسمة به وتقبله قبلات الحب والحنان ثم تتكلف البشر مرضاة له منتقلة به من حديث إلى حديث ليعود اليه صفاء ذهنه ..

وتتحمل نسمة تأنيب أمها كلما تأخرت لتجتمع بزينب فى الحديقة كى تتلو عليها ماحفظته من القرآن وظلت كذلك تقاوم التعذيب بالصبر والاحتمال حتى ذلك اليوم الذى انزلقت ساقها أثناء نزولها من الأتوبيس وهى عائدة الى المنزل وسرعان ما حملها الاسعاف الى المستشفى ويتصل بوليس النجدة بأسرتها وتكاد تصعق أمها التى أسرعت اليها بصحبة أولادها وشقيقها يوسف الذى أخذ على أمه فى الطريق قسوتها على ابنتها مؤكداً لها أنها السبب فى ذلك لأن ما تعانيه أخته من شجن وألم أضعف أعصابها وقواها . ويؤمن الوالد على كلام ولده ، وتمضى نسمة فى المستشفى بعض أيام وتتردد عليها زينب كل يوم بعد خروجها من الكلية وينتهز ـ موسى ـ الفرصة فيعود أخته متكلفاً تأثره البالغ فى الوقت الذى تعودها فيه زينب متظاهرا أمامها بالأدب والاحتشام ثم ينتهز فرصة انفراده بها أثناء قيام نسمة بالتغيير على الجرح فيعتذر لها عما حدث ويؤكد لها أنها كانت تجربة قاسية ولكنها أفادته لأنها ربطت بينهما رباطا وثيقاً مبالغا فى تأثره بالدين الاسلامى حتى ظنت أنه تأثر بأخته وأنه صادق فيما يقول . فترفقت به وراحت تعامله كأخ ولكن فى حذر ، فى أثناء ذلك لاحظ جلال احتجاب نسمه وعدم ظهورها فى نافذتها لتستمع إلى القرآن كما لم يعد يراها غادية رائحة . لذلك اضطر أن يقف فى إحدى المنعرجات التى يسير فيها « يوسف » وتعمد أن يتقرب إليه ويحييه مبتدئا بالسؤال عن موسى .. الذى لم يعد يراه كالمعتاد فيخبره يوسف فى بساطة أنه يقضى أكثر الوقت عند أخته نسمه فى المستشفى ويخفى « جلال » ما ألم به ويتدرج به حتى يعرف مقرها بالضبط

والمواعيد التى يذهب إليها فيها شقيقها . . ويساعده الحظ فيقابل صديقاً عزيزاً كان رفيقه منذ الطفولة حتى فرق بينهما التخصص . . ويعلم منه أنه يعمل طبيباً فى المستشفى التى تعالج فيها نسمه وتدرج معه فى الحديث حتى وعده بزيارته فى المستشفى . . وهناك التقى به وذكر له أنه بالصدفة قابل صديقاً له كان يعود أخته وكلفه برعاية المريضة رعاية خاصة دون أن يشعرها بأن التوصية من قبله ماراً فى الردهة التى بها غرفتها كل يوم ليراها من بعيد حريصاً على أن يحمل إليها كل يوم فى الصباح الباكر باقة من زهر الزنبق لاعتقاده أنه الزهر المفضل عندها إذ رآها يوماً تحمل باقة منه وتضعها فى إناء أمامها وهى تستذكر دروسها .

وعجبت نسمه فى بادىء الأمر عندما تلقت أول باقة لاتحمل معها اسم راسلها أزميل جامعى أم زميلة ؟ . واستغرقت فى التفكير عندما تكرر إرسال الباقة إليها وكتمت الأمر لكيلا يساء بها الظنون حتى ذلك اليوم الذى حضرت فيه زينب مبكرة لمناسبة عطلة الدراسة ولمحت « جلال » يناول البواب الباقة وينصرف . . . ولم تكد تأخذ مجلسها بجوار نسمة حتى وجدت الممرضة تحمل إليها الباقة وتخجل نسمه موارية حيرتها ثم تبتسم مبدية إعجابها المفرط بهذا الزهر وتبادلها زينب الإعجاب ثم تلمح لها أنها رأت . جلال . يناول البواب هذه الباقة .. وتدهش نسمه وتتمنى لو لم تره زينب ثم تؤكد لزينب أن راسل الباقة لا يشير إلى نفسه مطلقاً وقد كانت تظن أنها من احدى صديقاتها . . ثم ينقطع حديثهما عند ما يدخل « موسى » ليبشر أخته باستلام وظيفته مغتبطا يرسم الآمال أمام زينب مبديا رغبته فى الانتقال مع أسرته الى مسكن جـــديد يليق بمركزه . . . وتأخذ عليه زينب اهتمامه بالمظهر مؤثرة الاهتمام بالجوهر . . وتؤيد نسمة رأيها راغبة فى أن تظل الأسرة كما هى ولكنه يحقد ناقما على الفقر والحرمان مؤثراً حياة البذخ

والتمتع بكل ما يمكن التمتع به ، ويطول الجدل فى هذا الشأن .. نسمة تؤثر حياة الطمأنينة والقناعة والاكتفاء الذاتى وزينب تميل إلى الاعتدال وإن كانت لا تمانع فى قبول المزيد من الرفاهية ما دام ذلك لا يتنافى مع الإسلام ..

وعند انصراف زينب تعتذر إلى نسمة لعدم تمكنها من الحضور فى اليوم التالى لمرافقة والدها إلى الطبيب لمرضه .. وبينما كانت نسمة تتأمل الأفق بقدر ماتسمح به نافذتها لمحت ـ جلال ـ يمر فى الردهة ولما يقع نظرها عليه يختفى بسرعة.

وتقع نسمه تحت تأثير فكر يطوف بها حول — جلال محاولة أن تفسر سر إرساله باقة الزنبق دون أن يشير إلى نفسه ومروره أمام نافذتها ، ثم تستعرض حياته بقدر ما تعرف عنه وما تراه عن قرب أو بعد ، فلا تجد غير الاعتدال والاستقامة ، وتأدية فروض دينه على الوجه الأكمل ، وعزوفه عما يستمتع به أمثاله وتود لو تراه لتشكره على تحيته العاطرة .. ولم تكد تسترسل فى هذه الخواطر الجميلة حتى يمر بذهنها .. حديث - موسى عن علاقته بزينب .. وسرعان ما يراودها إحساس مبهم يجمع بين الشك واليقين ، ولكن سرعان مايتغلب الشك فى ذهنها لانقطاع زينب عنها عدة أيام ، وإرسال خطاب لها تعتذر لاضطرارها إلى البقاء بجوار أبيها حيث أجرى له عملية جراحية .. وراح — موسى — يزورها لماماً محاولا أن يسمم خواطرها من ناحية زينب ، وأنه رآها أكثر من مرة متأبطة ذراع - جلال فى الطريق . . وأغراها على تصديق هذا الزعم انقطاعه عن إرسال باقة الزنبق إليها . وفسرت ذلك بأن زينب صارحت ـ جلال ـ باكتشافها إرساله الباقة .. فخاف واحتجب .. فى هذا الوقت يحرص ـ موسى ـ على زيارة والد زينب فى المستشفى مبالغاً فى تقديم هدايا الحلوى والفاكهة إليه بعد أن رفضت زينب قبول ما قدمه اليها من الهدايا بدعوى أن أخته أحق منها ورغم حرصها الشديد وتجنبها ما يثير فى نفسه أى عاطفة فإنه لم ييأس بل ظل يمارس

التقرب منها والتغرير بها فى لباقة ودهاء ، وبينما كانت نسمه متلهفة لسماع أى خبر عن زينب وجلال .. دخل عليها — يوسف يحمل إليها زجاجة عطر ممتازة ، وقبل أن تسأله من أين جاء بها .. أخبرها أن — موسى — اشتراها لهامنذ أيام ، وقد أبدى يوسف أسفه ، لأنه لم يستطع أن يشترى لها حلوى وفاكهة مثل موسى ، لذلك أحضرها إليها بنفسه .. وتستزيده إيضاحاً فيخبرها أنه عندما ذهب لشراء الفاكهة التى أحضرها لها موسى أخبره الفاكهى أن شقيقه يشترى كل يوم منه أجود وأغلى أنواع الفاكهة لأخته المريضة .. وتنفى نسمه صحة ذلك مؤكدة لأخيها أنه لم يزرها منذ أيام ، ولم يحضر لها منذ دخلت المستشفى أى شىء . ويسرح يوسف بخياله لحظة ثم يعدها بالتحرى وتتبع خطواته من بعيد منذ يخرج من البيت بعد الغذاء حتى يعود ، ويبدى دهشته لأنه كان يظن أنه يتعجل الغذاء ويغير ملابسه ويغادر البيت على أثر تناول طعامه مسرعا من أجل زيارتها .

ولما تتحسن صحة والد زينب تبتهج ابنته وتحنو عليه ثم تشدو له لتبعث الشجو فى نفسه. ولما يترامى صوتها إلى الممرضات يهرعن ليستمعن إليها معجبات بصوتها العذب الرخيم ... ويطيب للوالد بعد انصرافهن أن تجود بعض آيات القرآن شكراً لله ، ولم تمض أيام حتى تغادر نسمه المستشفى ورغم أوامر الطبيب بالاعتكاف بعض أيام أخر لاسترداد قوتها كاملة ، وعندما تذهب إلى الكلية تفاجأ برؤية زينب ثم تعلم أنها لم تتأخر عن الكلية يوماً واحداً ، ورغم تصريح زينب لها بأنها حرصت على حضور جميع المحاضرات لكى تنقل لها محاضراتها حتى لا تفوتها ، وتقدم لها النوت مدونا به جميع المحاضرات — رغم ذلك — لم تستطع نسمة تصديقها لتغلغل الشك فى نفسها .. واضطرت أن تلازمها مرضاة لها شاعرة بأن هناك ضباباً كثيفاً يحجب بين قلبيهما وأن هناك ماتخفيه زينب عنها .. وهو

علاقتها بجلال .. وأرادت أن تعفيها من تعليمها القرآن بدعوى أنها فى نهاية العام وفى حاجة ماسة إلى كل دقيقة للاستذكار ، ولكن زينب أصرت على تعليمها ووعدتها على أن تلقاها كالمعتاد فى الحديقة العامة .. وفى الصباح الباكر قامت نسمة مبكرة على أمل أن تستمع القرآن كالمعتاد ولكنها لم تسمع شيئاً وفتحت النافذة فرأت نوافذ بيت جلال كلها مغلقة .. وعندما دخلت عليها أمها لتدعوها إلى طعام الإفطار ووجدتها بجانب النافذة .. أظهرت ارتياحها لسفر هذه الأسرة راجية أن تذهب لغير رجعة .. وهنا ظنت نسمه أن والده نقل إلى بلد آخر وأنه انتقل بدوره إلى سكن آخر وشجعه على ذلك زينب ليبتعد عن نسمة .. وشعرت باختناق أنفاسها كأن حدثاً مزعجاً لم تكن تتوقعه قد وقع فى الحال .. وكأن ريحا من اليأس اجتاحت طمأنينة نفسها .. وغامت عيناها بالدموع ، ولزمت الصمت كأن الصدمة أخرستها ، وكادت تحجم عن الذهاب إلى الكلية ، ولكنها عادت وتصورت الجحيم الذى تعيش فيه ولم تجد سبيلا للتنفيس غير الذهاب إلى الكلية .. ولم تكد زينب تراها حتى يهولها شحوبها البادى ، ويزعجها وجومها رغم الجو الضاحك المشبع بالفكاهات التى تكتسح الشجن .. وأبت زينب أن تتركها تعود إلى بيتها ولكى تستجيب لدعوتها إلى الحديقة اتهمتها بالعزوف عن القرآن.. ولكى تبرىء نسمه نفسها من هذا الاتهام رافقتها .. وبعد أن استقر بهما المقام وأهابت بها زينب لتستمع إلى ماتيسر مما حفظته من القرآن فى أواخر هذه الأيام ، ثم راحت تستدرجها لتعرف مبعث أساها ، مترفقة بها حانية عليها .. ولكن نسمه حرصت على ألا تبوح بشىء متصنعة الإعياء بسبب استئناف دراستها قبل أن تسترد عافيتها تماماً .. وأيقنت زينب أنها صادقة فنصحتها بمراعاة صحتها .. وعادت كل منهما إلى دارها ..

ولم تكد تقترب نسمه من بيتها حتى لمحت نوافذ بيت جلال مفتوحة .. وصعدت الدرج مسرعة كأنها على ميعاد — دون وعى — وفتحت نافذة غرفتها

ولشد ما أذهلها وقوف ـ جلال ـ على مقربة من النافذة وقد وضع على نافذته باقة زهر الزنبق ، ورأت أن كل شيء في الغرفة كما يبدو من النافذة كما كان.. وعندما سمعت وقع أقدام أمها ابتعدت عن النافذة ، ولاحظت الأم نافذة جلال المفتوحة.. فأغلقت نافذة ابنتها وهي تسب وتلعن .. ولم يتحرك جلال من موقفه كأن ذلك لا يعنيه .. واختلى يوسف بأخته وأسر إليها أنه عندما اعتزم أن يتتبع خطوات أخيه وقع نظره عليه بغتة ويبدو أنه ادرك ذلك فضربه وزجره ، ومنذ ذلك الحين وهو يركب تاكسي في نهاية الشارع .. وتقابل نسمه ما سمعته في شيء من الاهتمام وتفكر تفكيراً جدياً فيمن تكون هذه التي تملك وقته وحسه .. وتمنت أن تكون فتاة مصلحة لتصلح خلقه . . ومر بخاطرها طيف زينب فتمنت لو كانت هي ، ولكنها استبعدت هذا الخاطر .

وعلى غير ارتقاب وجدت نسمة باقات الورود تنهال عليها تحمل أسماء بعض الزملاء والزميلات يعتبن عليها عدم دعوتهم لحضور الحفل الذي سيقام بمناسبة شفائها ، كما تفاجأ بالفيف من صديقاتها المقربات وفي مقدمتهن زينب وتبدي حيرتها متسائلة من الداعي فتخبرها زينب بأنها أعدت لها هذه المفاجأة تعزيزاً لحبهما وتوكيداً لصداقتهما وتهنئة لتمام شفائها .. ولم تمض ساعة حتى يتكون من الحاضرين مجموعة من الطلبة والطالبات ولم يابث الجمع يستقر حتى تقدم زينب والدها ليفتتح الحفل بآي الذكر الحكيم .. وتجد الأم نفسها وسط جماعة يخالف دينهم دينها .. فتزمجر وتتأفف وتبدي استياءها وتبرمها لولدها موسى الذي يتظاهر أمامها بعدم الموافقة ولكن الموقف يحتم عليهم المواراة لكيلا تثير الشك فيهم ويكون هناك مجالا لاتهامهم بالتشيع للصهيونية .. وأمام هذا التصريح تتظاهر الأم بالابتهاج وترحب بالصديقات والصحاب ، ولم يكن صوت الغناء والمرح يعلو حتى تحضر جارة لأم موسى لتنبهها إلى مراعاة شعور أم جلال لأن والدتها توفيت ولكن أم موسى

لا تبدى اهتماماً بينما تسمع نسمة فتلفت نظر زينب إلى ذلك وتهيب بها إلى اختتام الحفل بتلاوة القرآن الكريم بصوتها فتستجيب زينب دون تردد . . ولم تكد زينب تنتهى حتى يتقدم منها زميل مسيحى قائلا :

ما الذى تنشدين ؟ إنى طروب أهو شدو أم ذلك العندليب
إن شيئاً يهز أوتار قلبى وهو سحر له تذوب القلوب
وكأنى أحسه من سماء قد نأت غير أنه لى قريب
ما الذى قد سكبت فى عمق نفسى فهو فى خاطرى وسمعى يطيب

زينب : ذاك نور السماء ذا التنزيل

الطالب : منك يحلو النشيد والترتيل

زينب : ليس منى الجمال فهو الجميل

الطالب : آه لو كان ينشد الإنجيل

زينب : أيغنى ما شوهته الدهماء بعد أن كان غنية الأنبياء
الطالب : كيف هذا وحسنه الوضاء والترانيم أرسلتها السماء
زينب : لا أمارى فى أنه قول ربى إن عيسى يحبه كل قلب
الطالب : كل قلب !.. إنى به جد صب إن عيسى الجدير منا بحب ..

هنا يقترب منه موسى ليسحبه بعيداً عنها ، راجياً منه عدم التعرض للتدخل فى الأديان ، ولكن الطالب يصارحه بأن صوتها الجميل ألهمه ما نطق به من شعر لأنه شاعر ...

وتبدى زينب إعجابها بالطالب الشاعر فترجوه أن يسمعهم شيئا من ألحانه وقبل أن يستجيب الشاعر .. يدعو موسى بعض الزملاء لعزف مقطوعة موسيقية ولكن زينب تعلن انتهاء الحفل بتلاوة آى الذكر الحكيم . . وقبل انصراف المدعوين . يلتفت أحدهم إلى نسمه ليسأل عن جارهم جلال مع أنه كان يظن أنه

فى مقدمة المدعوين ، وتجيب نسمة بأن الداعية للحفل زينب .. وتعتذر زينب لأن جدته توفيت فيقول صاحبه إنه كان يسره أن يسمع القرآن الكريم .. وتعلق نسمة خصوصاً إذا كان من صوت رقيق ساحر كصوت زينب .. وتعتذر زينب بأن الحفل يتطلب المرح إلى حد ، والحزين لا يألف ذلك .

فى اليوم التالى تجد نسمة فى صندوق البريد . . رسالة تهنئة رقيقة لاتحمل اسم راسلها .، وبينما هى مستغرقة فى تفكيرها يدخل عليها — يوسف — ليخبرها أنه أثناء وجوده فى الصباح وجد جلال فى فناء المنزل ولما سأله عما يريد .. أخبره أنه يريد أن يقابل شقيقه موسى ليهنئه على خطبة أخته .. ويضحك يوسف من هذه الإشاعة متندراً بخطبة أخته على عريس مجهول . وتتضايق نسمة وتدرك أن الحفل إذن كان مؤامرة لنشر هذه الإشاعة .. ولامت يوسف لموافقته على هذا الافتراء .. فيعانقها متهللا راجياً أن تكون بشرى لها ويصارحها بأنه لم يشأ أن يكذب الإشاعة لتكون حقيقه بإذن الله .. وتبدى نسمة عدم ارتياحها وتكلفه بقضاء مهمة لها لكى تخلو بنفسها كى تفكر فى قدرة زينب العجيبة ومهارتها فى تمثيل دور الصديقة المخلصة أمامها ، والعدوة اللدود وراءها .. ولماذا كل هذا .. أمن أجل جلال ؟ الذى لم تتصل به ولم تقابله ، ولم تقف فى طريقها إن كانت تسعى إليه .. واعتزمت أن تجنح إلى العزلة لتحتجب عنها بدعوى الاعتكاف لانحرافها واتخذت القرآن أليفاً لها. تتلوه وتراجعه وتردده كلما شعرت بظلام الخواطر يحجب نور الحياة أمام ناظريها .. ولما ينتهى العام الدراسى تسافر زينب مع والدها رغم أنف موسى الذى توسل إليها أن تعمل جاهدة لإلغاء هذا السفر ، ولكنها أبت الخضوع لأمره بدعوى أنه لا بد أن تمضى بعض أيام فى الريف ليزور والدها أسرته وهى تنتهز هذه الفرصة لتجدد نشاط ذهنها إذ فى نيتها أن استئناف الدراسة لتضع رسالة للماجستير عن حرية المرأة والشريعة

وقبل أن تسافر تذهب لتودع نسمه راجية لها اجازة سعيدة حتى تلقاها . . وتخفى نسمة دهشتها لبراعتها فى تمثيل دور النفاق وتودعها كما لقيتها فى لطف .

وتجد نسمه صعوبة فى تفهم بعض آيات السور الكبرى ويصعب عليها أن تمضى الأيام دون أن تستفيد أو تبلغ منه وطراً .. فتستعين باستعلامات التليفونات عن معهد حر لتعليم الدين .. ولم تلبث حتى تهتدى وتلتحق به ولكن أمها تلحظ عليها خروجها كل يوم فيعاودها الشك فتستعين بيوسف للتجسس عليها .. ولكن يوسف يؤكد لها أن أسرة زينب على سفر ويصارح أخته بما يخامر أمه. وتجد نسمة نفسها مضطرة أن تكذب على أمها فتخبرها أنها التحقت بمشغل نسوى لتتعلم الحياكة فتفرح الأم ولم تمر مدة حتى تطلب منها أن تخيط لأختها الصغرى ثوباً وتخشى نسمة أن يفتضح أمرها فتضطر أن تلتحق بمشغل نسوى بعد أن تتفاوض مع المشرفة عليه بأن تعطى دروساً للصغار مقابل تعلمها الحياكة .. وهكذا توفق بين تحقيق رغبتها ورغبة أمها ..

ويشعر موسى بفراغ هائل فى حياته بعد سفر زينب ، ويحاول أن ينتحل عذراً لنفسه يبيح له الحق فى اللحاق بأسرتها وبدهائه استطاع أن يغرى أحد أصدقائه المسلمين على إقامة حفل للمولد النبوى حيث هل ميعاد ذكراه فى منزل الصديق وتعهد إليه بأن يحضر له مقرئاً ممتازاً على حسابه . . ولم يكد يوافق صديقه حتى سافر إلى القرية ليستدعى والد زينب لإحياء حفلة المولد النبوى الذى سيقيمه صديقه . . ويعتبر الشيخ هذا فضل منه فيشكره ويعود معه إلى القاهرة ترافقهما زينب.

فى هذا الوقت لاحظ جلال خروج نسمه صباح كل يوم حريصة على الميعاد فى الذهاب والإياب . . فيرتاب فيها وللتأكد يتبعها من بعيد حتى يعرف أنها التحقت بالمعهد الدينى فيتبدد شكه وينشرح صدره ويقرب أمله ويجدها فرصة لدراستها عن قرب فيتقدم إلى رئيس المعهد متطوعاً لتعليم نصوص الدين للطلبة الكبار ،

ويقبل المدير تطوعه شاكراً له أريحيته وتاركا له الحرية فى إدارة المعهد وتلقيح التعليم الدينى بمصل التطور الحديث ليسهل فهمه ويحبب إليه التلاميذ .

وفجأة ، تجد نسمة نفسها مع بعض التلميذات أمام جلال . . الأستاذ الجديد كما قدمه مدير المعهد :. وترتبك ولكنها تغالب مشاعرها وتنتظم فى دراستها محاولة ألا تبدى أى أثر من آثار انفعالاتها الكمينة ثم تخاف أن يفضحها ويعلم المدير أنها يهودية فى حين أنها تقدمت باسم فتاة مسلمة ، فتضطر أن تقابله على انفراد لتلفت نظره إلى ذلك ، وبعد أيام يقرر الأستاذ جلال أن يمتحن كل تلميذة على انفراد ، فلما جاء دور نسمة ترفق بها وراح يدور ويجول حول أسباب دراستها للقرآن وهى يهودية ، وعرف منها أنها حاولت فى طفولتها أن تدرس التوراة وتقبل عليه فصعب عليها ، ووجدت نفسها شغوفة بسماع القرآن ثم وجدت نفسها مسوقة لحفظه بحيث لم تعد تستطيع الآن أن تمضى يوماً دون أن تتلوه وقد أصبحت بعد أن تعلمت منه فريضة الصلاة تؤديها كما استطاعت أن تصوم شهر رمضان خلسة دون أن تشعر أهلها ، وكانت تطلب الطعام فى غرفتها ظهراً وتحتفظ به حتى المغرب ، ولما أراد أن يعرف غايتها من تعلم القرآن وهل هناك إنسان مسلم فى طريقها ومن أجله تتعلم دينه ، احتدت غاضبة ، وأفهمته أنه لا إرادة لها فيما تفعل ولكنها إرادة الله وقبل أن ينتهى من حواره أراد أن يعرف وجهة نظرها فى إشهار إسلامها ، وهنا أبت أن تقطع برأى ، وأفهمته أنها لا تبغى من وراء دراستها للاسلام أملا ولا تدرى ما الله صانع بها ، وحسبها سعادة أن تشعر فى قرارة نفسها بسعادة الإيمان ومعرفة الله ولم يسعه إلا تهنئتها ، راجياً لها سعادة فى الدنيا والآخرة ، ثم طلب منها أن تضع رسالة للماجستير عن « أثر الإسلام فى نهضة الشعوب » ووعدها بمساعدتها فى ذلك ، ولكنها رفضت هذا العرض بدعوى أنها تدرس الإسلام لتنوير روحانيتها وأشباع قلبها بنور الله وحسبها ذلك ، لا من أجل نيل ارقى

الاجازات لتبلغ أعلى المراتب ، وطال نقاشهما فى هذا الموضوع حتى تنبه إلى أن وقت الامتحان طال معها أكثر من غيرها ، فصرفها وهو مطمئن القلب والضمير .

ولما عادت زينب من الريف جاءتها دعوة من الزميل المسيحى يدعوها للاشتراك فى المهرجان الأدبى بمناسبة مولد الحسين رضى الله تعالى عنه مع رسالة رقيقة يرجو فيها ألا تخيب رجاءه كما أرسل دعوة إلى نسمه مصحوبة برجاء لتؤثر على زينب :

وتضطر زينب أن تخبر موسى بدعوتها إلى المهرجان فينصحها بعدم الذهاب ولما يجدها مصرة يتكلف خصامها فلا تأبه له ، فى الوقت الذى يصارح فيه جلال نسمه بعد انتهاء الدرس بالمعهد أنه مدعو إلى حضور مهرجان الحسين البطل وسيقبل الدعوة لأنه علم أن زينب سوف تنشد فيه أغانيها الدينية .. وتوارى نسمة ماألم بها من انفعالات ، وتخبره أنها دعيت أيضاً ولم تحدد رأيها بعد فيرجوها فى إيجاز أن تقبل الدعوة لتستمتع بزينب ولتبدى رأيها فى تأليف الأغنية

ويقام مهرجان البطل الشهيد ويتبارى فيه بعض الأدباء والشعراء عن الحسين الشهيد فى سبيل الحق والحرية والعقيدة والمثل العليا .. ثم ينوه صاحب الدعوة إلى أنه أقام هذا المهرجان لتنمية الوعى الدينى أولا ولربط العقائد الدينية برباط الفكر السليم . ثم تنشد زينب أغنية دينية جديدة استطاعت أن تكلف أحد معارفها الفنانين بتلحينها بعد أن كلفت جلال بوضع كلماتها ، وذهبت نسمة بمرافقة ـ موسى ـ الذى تعمد مصاحبتها ليشعر زينب أنه ذهب من أجل أخته لا من أجلها ، ولما انتهت زينب من الأغنية اقترب منها الزميل الشاعر المسيحى قائلا

هاتى إنى أحس شيئاً جديداً كلما تشبعيننى تجويدا
شبه نور يضىء آفاق نفسى فيمشى بها يزيح الجمودا

وهنا يقبل عليها موسى ليلفت نظرها إلى اختتام الحفل بالقرآن ، فترحب

بينا يلتفت حولها الحاضرون .. عندما تتلو بعض آيات القرآن .. ولما تتهيأ للانصراف يقترب منها « موسى » .. الذى كان واقفاً يرقبها فى غيظ وإعجاب ليقول لها ان والدها أرسل إليها ليتعجلها ..

فى حين يتقدم إليها الشاعر ليقول . . : ـ

انشدى انشدى وقولى وهاتى انشدى انشدى وهيا أعيدى

وعند ما تتهيأ زينب للكلام يلفت نظرها موسى إلى ضرورة تلبية والدها ، ولكن نسمة تأخذ عليه تدخله فيما لا يعنيه ، ثم تجيب زينب على الشاعر :

أوما رأيت النور كيف أضاء متملكا أرواحنا ما شاء

الشاعر :

إنى أحس الحق ملء جوانحى وأحس منه غبطة ورضاء
آمنت ! قد آمنت باسم محمد ورأيت للنور المبين جلاء

زينب :

ما أجمل الإيمان حين يزينه حب يزيد جلاله آلاء

وهنا تتغامز بعض الحاضرات ويتهامسن مفسرات شعر الشاعر بغير حقيقته .. وينفض الجمع .. وتنصرف زينب التى حرصت على ملازمة نسمة التى لزمت الصمت والوجوم طوال المهرجان عدا بعض كلمات خاطفة تعليقاً على رأى جلال فى كلمات الخطباء كلما وجد فرصة سانحة لمكالمتها ..

وافترقتا الصديقتان فى منتصف الطريق لتأخذ كلا منهما طريقها إلى بيتها وحدها بينا تلتفت نسمة باحثة عن أخيها فلم تجده ، فينتابها شبه خوف من ظلام الطريق لذا تسرع الخطا وتزداد اضطراباً عندما تسمع من يقول لها لاتخافى .. أنا معك وسرعان ما يظهر جلال بجانبها فتطمئن ، ولم تنم طوال الليل تفكر فى هذا اللغز إنها تشعر أن جلال يحبها ، ولكن لماذا لا يصارحها ، ولماذا يظهر لزينب حبه

كما يبدو ، وعندما تعود زينب إلى بيتها تعلم أن موسى جالس مع والدها .. ويمضى الليل وموسى مع الشيخ يصغى إلى أجوبته على كل سؤال ديني ، يوجهه إليه مؤكداً له أنه يؤمن بالله ورسوله ، ناطقا بالشهادة كاملة بصوت جهير ، فيبتهج الشيخ ويسأله هل يعتنق بقلبه حقاً فيؤكد له. ولايسع الشيخ إلا أن يهنئه، وعندما تهل بوا كير الفجر،يكون موسى فى طريقه إلى البيت هادئاً مطمئناً شاعراً أنه بدأ ينتصر على زينب التى بدأت تتهافت عليها القلوب ، ويلتف حولها المعجبون، ولشد مايخاف أن يختطفها رجل مسلم. فى حين تكون أم موسى قضت الليل فى أرق لانصراف ابنها عنهم وقضاء ليل كل يوم خارج الدار وعدم تمضية أى وقت معهم ، وتستسلم للنوم قبيل عودته فلاتشعر بدخوله،وفى الصباح تلجأ للاستعانة بجارتها لزيارة العرافين لمعرفة السر . فيقال لها انه مشغول بامرأة سحرت له سحراً قوياً ومن الممكن فك هذا السحر وعندما تفضى الأم بذلك لابنتها تنصحها بالكف عن هذه المحاولات لأنها ألوان من النصب والاحتيال ، ولكن الأم لاتتأثر بكلامها وتظل فى اعتقادها الخرافى تبذل كل ما فى وسعها لفك السحر ، حتى تضيع النقود ويطول الوقت وهو على حاله لا يقيم لأسرته حساباً فى وقته وماله ، ثم ينتهز فرصة رضاء الشيخ عنه فيخطب منه زينب فترفض بإصرار ولكن أباها يهددها ويفهمها أن ثوابها عند الله سيكون عظيما ، مؤكداً لها أن الله سوف يقبلها قبولا حسنا من أجله ، كما يسعدها فى الدنيا سعادة كاملة ، وتحت تأثير والدها كان موسى يحاول أن ينفذ إلى قلبها بشتى الطرق وهى تبدى القبول آنا والخوف أحياناً وأخيراً يعاود المرض والدها ثم يموت فجأة ، ويجد موسى الفرصة سانحة للبقاء بجانبها وتخفيف هموم الأسرة حتى تتأثر به أمها وترتضى به بعد امتناع .

ولماتذهب نسمة لتعزية زينب يسمع صوتها موسى فيختبىء فى إحدى الغرف، وتتألم زينب لذلك فتؤنبه على جبنه ، ولكنه يدافع بدعوى أنه يفعل ذلك ليبعد

الشبهة عنها ثم يصارحها بضرورة زواجهما فتعارض لكيلا تفقد صداقة نسمة، ولكنه يؤكد لها أن نسمة سوف تفرح لأنها تحبها ، إنما يجب إخفاء الزواج لبعض أسابيع ريثما يعالج الموقف مع والديه ، ولذلك يفضل أن يكون الزواج عرفياً بعد نقل أسرته إلى إحدى الضواحي ليعيش معهم ، ولما احتجت على ذلك ورفضته رغم تأكيده بأنه من أجل زواج نسمة يفعل ذلك ، لأن لها قريباً يهودياً سيحضر بعد أسابيع من أمريكا ليعقد عليها حسب اتفاقهما وهو يخشى أن يعلم أنه أسلم فيتنحى عن أخته . وبعد زواج نسمة ، سيعقد عليها رسمياً وحسبها منه الآن أن يشهر إسلامه وتقتنع الأم وتؤثر على ابنتها وترغمها على زواجه .

ولم تمض أيام حتى تنتقل أسرة زينب إلى ضاحية عين شمس ، وبعد مضى أيام يخبر أسرته بأنه انتدب للعمل فى الكويت ، وما هى إلا أيام قلائل حتى يجمع ملابسه ويودع أهله بعد أن يرفض توديع أسرته له فى المطار بدعوى أنه سينضم إلى جماعة المنتدبين ليسافروا جميعاً فى طائرة لا يعلم ميعاد قيامها بالضبط .

وتقيم أمه مناحة ببكائها ليل نهار . ونسمه ترفه عنها مؤكدة لها أن غيره يسعى لذلك من أجل المال الوفير .

ويلحظ جلال على نسمة الألم فيسألها عما بها ، فتخبره فى إيجاز بسفر شقيقها فيهون عليها متمنيا لو كان له أخت مثلها تفكر فيه هكذا بعد سفره ، وأثناء حديثهما تعرف منه أنه سينتدب بدوره للعمل فى السعودية ، ويلحظ أنها تألمت ولكنها تحاول إخفاء مشاعرها ، ثم ينصحها بالكف عن الحضور إلى المعهد وخصوصاً بعد اعلان نتيجة الكلية ووعدها بأن يكون أول المبشرين لها بالنجاح .

وتجد نسمة نفسها غير راغبة فى الذهاب الى المعهد ترضية لجلال ولم تمض أيام قلائل حتى يهرع إليها يوسف ليناولها تلغرافا وهو متطلع لما به فإذا به تهنئة نجاحها ويشاركها الصغير الفرحة مبشرا أهل البيت ، فى حين وقفت

نعمة أمام نافذتها لتشير بيدها الأول مرة من بعيد شاكرة لجلال هذه التهنئة ، وتود لو تطمئن على زينب أيضا فتهرع إليها لتطمئن عليها ولكنها تفاجأ بسكان جدد وتحاول أن تعرف مقرها الجديد فينكر السكان معرفته .

تضطر أن تتصل بجلال تليفونياً لتطمئن منه على زينب فيبلغها أنه لم يسأل الا عن نمرتها ، ويعتذر لأنه نسى أن يسأل عنها ويخبرها أن النتيجة ستظهر غداً على أى حال ، ويدعوها لتناول الشاى فى الحديقة التى كانت تذاكر فيها القرآن لأنها غدت أحب الأماكن الى نفسه ، وعلى مائدة الشاى يجتمعان ويصارحها بأنه ليس من أجل الشاى دعاها ولكنه يريد أن يطمئن على موسى هل هناك سوء تفاهم بينه وبين الأسرة فتنفى ذلك فيخبرها أنه رآه مع زينب البارحة فى سينما مصر الجديدة فتدهش نسمة وتؤكد أن هناك لغزاً لا تدريه وتسأله ولماذا لم يواجههما فيجيبها بأن الأمر لا يعنيه فتزداد دهشة وتصارحه بأنها تتمنى لو تكون زينب زوجته فيبتسم فى هدوء مؤكداً لها أنها تستحق أحسن منه ولكن قلبه متعلق بسواها ولما تسأله من تكون هذه الإنسانة السعيدة . يصارحها بأنها هى .. ثم يعدها بأن يتصل بإدارة عمل موسى ليعرف أين يقيم ، ثم يفترقا على ميعاد مكالمة تليفونية ولما تعود نسمة الى البيت تجد أمها فى مناحة لا نقطاع رسائل موسى والحرب توشك أن تقع بين روسيا وأمريكا فتطمئنها وتشعرها بأنها تسلمت منه رسالة الآن وتخرج من محفظتها خطاباً كان ورد اليها من صديقه وتقرأ عليها رسالة مصطنعة فى التو ، ويفهم يوسف تلاعب أخته ليختطف منها الرسالة ليطالعها ولكنها تنظر اليه ليفهم مرماها فيوافق عليها ويبدى رغبته فى كتابة خطاب له ليطالبه بمجموعة من الهدايا وتملى الوالدة رغباتها ورغبات زوجها وأولادها ، وفى الميعاد الذى حدده جلال لمكالمته تتصل نسمة به وبعد أن تعلم منه عنوان موسى الذى يقيم فيه بمصر الجديدة تذهب إليه ولشد ما يهولها أن تفتح لها زينب الباب

وتكاد تصعق عندما تلمح موسى خلف زينب يترقب الداخل ، وترتمى نسمة على أول كرسى فى اعياء ، وترتبك زينب ولكن موسى يتمالك نفسه ويصرف زينب لتعدلها فنجانا من الشاى وتسأل أخاها ماذا فعل فيخبرها أنه تزوج زينب زواجاً عرفياً ولما تسأله هل أسلم ينفى ذلك ويخبرها أنه كان صديقا من محترفى التزوير بتزوير اعلان اشهار اسلامه ولما رأته إطمأنت وتزوجته على أمل أن يتم الزواج الشرعى بعد أن تتزوج نسمة وتوسل اليها ألا تؤنبها وألا تظهر اليها أى اعتراض راجيا أن تشعرها بموافقتها ريثما يفكر فى وسيلة للتخلص منها وهو يسعى فعلا للسفر إلى بلد بعيد .

وتأبى نسمة أن تشجعه على النصب والغش والخداع فتؤنبه فى غير لين وتخيره بين تسريحها حالا مع منحها مالا يعينها على العيش الكريم ريثما تهيء نفسها لحياة أكرم أو يعتنق الدين الإسلامى حقاً ويتزوجها فوراً ، ولما أراد أن يتراجع متهماً زينب بأنها هى التى شجعته على ذلك . . تزداد سخطاً عليه لأنها تعرف زينب تماماً وتفهمه الضرر البالغ الذى يحيق به من جراء إجرامه هذا .. وخصوصا إذا كانت زينب فى حالة حمل ولما يؤكد لها ذلك تبدى له ضخامة جنايته مصورة له المأساة التى يتكشف عنها إثمه والتى ستتحول إلى قصة تتناولها المحاكم وتنشرها الصحافة كما تتحول زينب وقتئذ إلى أم تدافع عن كرامتها لتصون حياة ولدها وسمعته وتحمى مستقبله ، وتصارحه بأن دينه اليهودى الأصيل يحرم الحرام إن كان لم يزل يهوديا . . وجميع الأديان تنص على الفضيلة وتنهى عن الرذيلة . . ويطول تأنيبها وتهديدها حتى تدمع عيناه تأثراً ويتنبه ضميره لأول مرة وينظر إليها نظرة التائب راجياً أن تقف بجانبه ليكفر عن خطيئته ويعمل كل ما يجب عمله لكى ينقذها . فتخيره إما أن تبقى عليها وتسلم إذا كنت تحبها حقا أو

تتخلى عنها والله يتولاها برعايته . تاركا لها اتقاذها من ورطتها . ويفكر مليا ثم يتنبه على صراخها وهى تهيب به إلى تحديد موقفه . .

وهنا تدخل زينب فلما يراها تخفى انفعالاتها وعلى وجهها طابع القلق والاضطراب وقف ليحمل عنها الصينية وليطمئنها بأن نسمة جاءت لتبارك زواجهما ولتشهد عقد قرانهما الرسمى لأن قريبها اليهودى اعتذر عن المجىء إلى مصر لأمر لا ندريه . .

وتتعانق الصديقتان وقد غمرت الدموع عيونهما . . وعندما تتأهب نسمة للانصراف تأخذ على عاتقها أن تقوم بعمل كل شىء لتحقيق زواجهما . . ويخرج لتوديعها على محطة الترام وقبل أن تغادره تخبره أنها ستكل أمر إشهار إسلامه إلى من تثق فيه أولا وستخفى الأمر عن والديها إلى حين ثم تتصل بجلال تليفونيا لتطلب مقابلته كى تشرح له موقف أخيها بصراحة وتطلب منه مساعدته فلما عرف أخذ على عاتقه كل شىء . .

وفى اليوم التالى تدعو نسمة أخاها بالتليفون من عمله ليحضر جلسة الإشهار وبعد أن يتم ذلك بمساعدة جلال يذهبون جميعاً إلى منزل موسى لعقد القران . . وقبل مجىء المأذون يطلب جلال من موسى يد نسمة لتكون زوجته بسنة الله ورسوله ولها مطلق الحرية فى أن تظل على دينها أو تعتنق دينه، فدينه يبيح له التزوج من أى دين . ويوافق موسى دون تردد ويترك الكلمة لنسمة التى كانت مشغولة بإعداد مأدبة القران فلما تدخل لتدعوهم كى يتناولوا الطعام يسألها شقيقها عن رأيها فى جلال كزوج . . فتجيبه بلا تردد أكون سعيدة بزواجه لو تقدم إلى . هنا يقدمه إليها موسى فى ابتهاج كهدية بمناسبة زواجه . . وهى هدية تستحق الإجلال .

ولما يجىء المأذون ليعقد قران موسى تفضل زينب عقد قران نسمة أولا ولما يسأل المأذون عن دينها تجيب على الفور مسلمة وتعلن الشهادة بالله ورسوله . .

وعندما تعود إلى بيتها تجد أمها قلقة عليها فتصارحها أنها خيرت بين الانتداب أو العمل فى مصر فآثرت الانتداب لتكون بجانب أخيها فى الكويت مهونة عليها فراقها مصورة لها الفائده المالية الوفيره مؤكدة لها ارسال ما يسد مطالب الأسرة وأكثر . . وأزاء هذا تقبل الوالده

وبعد أيام ينتقل إلى بيت الزوجية الذى أعده لها جلال . . بعد أن تطلب منه أن يسمح لها بالعمل لتساعد أسرتها من بعيد معتمدة على زينب فى توصيل المبلغ الذى يرسله زوجها بالإضافة إلى مبلغها بدعوى أنها تراسلهما . . وتقوم زينب بهذه المهمة التى تطئمن الأم وتنسى آلام فراقهما بما تحمله إليها زينب من رسائل ونقود باسم موسى ونسمة

ويمضى العام وتنجب زينب كما تنجب نسمة . . وتجد نسمة الفرصة مواتية لمكاشفة الأهل بعد أن علمت بمرض والدها الشديد وما تعانيه الأم من آلام لفراقهما فتصحب أخاها مع زوجته وطفلة بمرافقة زوجها وابنته ويفاجئوا الأم التى تهولها الصدمة ثم تخضع حيال اعتراف الوالد بأنه كان يدين بالإسلام منذ وطئت قدماه أرض مصر سراً وبرؤية الأطفال .